إيه لبنان! لقد قيل في بنيك وبناتك ـ ولعلّهم هم القائلون ـ إنّهم قوم أذكياء. ألا بورك الذكاء! ولكن الذكاء وحده ما خَلق إلى اليوم رجالاً ونساءً صالحين وأقوياء. ولا كان يوماً مفتاحاً لباب الحبّ والجمال والحريّة. وما نَفْعُ الذكاء يسوقه المكر والجشع والغطرسة وحبّ المجد الباطل، ويقوده الرياء والخنوع والخوف والذلّ؟ ما نفعه يخلق المتاجر والمصانع والمعاهد، ويجوب الآفاق والأمصار، ويجلب الفلس والدينار، ويبقى، إلى ذلك، في نزاع مع نفسه ومع العالم، وعبداً خسيساً للمتاجر والمصانع والمعاهد، وللفلس والدينار؟ ثمّ ما نفعه يعتزّ بأنّ له صوتاً مسموعاً في مجالس الأمم وهو لا يسمع أصوات بحرك وسمائك ورواسيك ونواميسك ومآذنك يا لبنان؟ وكلّها يدعوه إلى النضال لا في سبيل المجد والمال، بل في سبيل الإنسان. وسبيل الإنسان هو الجهاد للوصول إلى قدس أقداس الحبّ والحرية والجمال.

والحبّ والحريّة والجمال آيات خطّها الله بأحرف من نور على جبينك يا لبنان. أفلا من يقرأ؟ أفلا من يفهم أنّه من الحيف أن يستقلّ بك أناس همّهم الأكبر أن يجعلوك ريشة في مهبّ المطامع والأهواء وأن يقال فيهم أذكياء؟ وأنت بما أغدقته عليك يد الله السخيّة من فتنة وسلام حريّ بأن